

ليوناردو دافنشى

Leonardo da Vinci

سنة ١٤٥٢ - ٤ مايو سنة ١٥١٩

ولد ليوناردو عام ١٤٥٢ فى عصر النهضة بقريه فنشى الجبلية بالقرب من فلورانس ، وهو الابن غير الشرعى لمسجل العقود الإيطلالى « سربير أنتونيو دافنشى » . بعد ولادته تزوجت والدته كاترينا من رجل آخر وتركت ليوناردو طفلا فى رعاية أبيه .

انكب ليوناردو منذ طفولته على هواية الموسيقى لكى يغنى على نغمات « الناي الإيطلالى » إذ كان بطبعه يميل إلى الغناء ويسترسل فى تأليف الأغنيات وموسيقاها دون تحضير ، ثم ظهرت بوادر عبقرية ليوناردو منذ أولى سنوات دراسته إذ كان يجادل أستاذه فى الرياضيات ويوجه إليه الأسئلة التى كان يتعذر على أستاذه فى كثير من الأحيان أن يجيبه عليها .

عرف ليوناردو بمدينة فلورانس - حيث كان يقيم - بوسامته ورقته وذكائه ، كان شابا يافعا ومبها قويا ، ملامح وجهه ذات جمال يلفت الأنظار ، شعر رأسه ذهبى اللون جذاب ينحدر على كتفيه ، ولم يكن يعادل جمال وجهه سوى جمال صوته الذى ينطلق فى رخامة وبلاغة قلما اجتمعت لبشر آخر مثل ليوناردو .

فى سنة ١٤٧٠ أخذ والد ليوناردو بذكاء ولده واستعداده الفنى غير العادى فقرر أن يضعه تحت إشراف الفنان الفلورانسى « فيروكيو Verrochio (هو أندريه فيروكيو - ١٤٣٥ - ١٤٨٨ ، نحات ورسام وجواهرجى ومن أعماله فارس يمتطى حصانا وهذا العمل له شهرة عالمية موجود حاليا بمدينة البندقية) ، وما هى إلا فترة قصيرة حتى ظهرت مواهب ليوناردو النادرة وأصبح رساما مرموقا يساعد أستاذه فى إنهاء أعماله الفنية .

فى سنة ١٤٧٢ - أى بعد عامين فقط - استقل ليوناردو بأعماله الفنية وأنتج عدة أعمال فنية أثارت إعجاب فناني إيطلاليا فى عصره ولكنها مع الأسف فقدت ولم يعثر لها على أثر .

في سنة ١٤٨٢ انتقل ليوناردو إلى ميلانو حاملا معه آلهة الموسيقى التي صنعها بنفسه من الفضة الخالصة على شكل رأس حصان وبطريقة محسوبة تعطى للصوت قوة وحلاوة .

كان ليوناردو عندما يلعب على آلهة هذه يتفوق على جميع الموسيقين الذين كان دوق « لودفيكو سفورزا » - دوق ميلانو يجمعهم للعزف أمامه وأمام ضيوفه ، كما كان أسرعهم في ارتجال الشعر واستنباط الأنغام الجميلة له . وعندما شعر ليوناردو بإعجاب الدوق بإنتاجه الفني وبمواهبه بعث إليه بكتاب يعرض فيه خدماته عليه ويندى له أفكاراً جديدة في شئون الحرب ، وختم كتابه بقوله « في وقت السلم أعتقد بأنني قادر على أن أكون نظيراً لأي شخص في الهندسة المعمارية وفي إنشاء المباني ، المباني العامة منها والمباني الخاصة ، وفي نقل المياه من مكان إلى آخر ، بالإضافة إلى أنه يمكنني أن أقوم بكل أنواع النحت سواء في المرمر أو في البرونز أو الصلصال ، كما أنه في الرسم يمكنني أن أقوم بكل ما يمكن لأي شخص آخر - مهما كان - أن يقوم به ، كذلك يمكنني أن أنفذ إقامة تمثال الحصان البرونزي لتخليد ذكرى والدكم وذكري بيت سفورزا العظيم » .

لم يكن ليوناردو مغالياً على الإطلاق في تقدير إمكانياته فقبل الدوق لودفيكو سفورزا عرض ليوناردو فوراً . بقي ليوناردو في ميلانو يعمل لمدة سبعة عشر عاماً ، أعاد عليه الدوق وكافأه وقربه إليه لشخصيته المحبوبة ولفنه الرائع وإنتاجه الغزير حتى أصبح الشخصية الأولى في بلاط الدوق ، كان ليوناردو يشرف على جميع احتفالات الدوق ، ينظم الأشعار ويكتب القصص والتمثيلات والأغاني . انتشر وباء الطاعون في ميلانو سنة ١٤٨٥ فبادر ليوناردو برسم تخطيط جديد لمدينة ميلانو على أسس صحية جديدة - وفي العام التالي أعد تخطيطاً جديداً لإعادة بناء قلعة عائلة « سفورزا » ، وهي قائمة حتى الآن ويطلق عليها « كاستيللو سفورزيزكو » ، وفي العام الذي يليه كان قد أعد تخطيطاً لكاتيدرالية ميلانو المشهورة (دوومو دي ميلانو) .

في الوقت نفسه كان ليوناردو يدرس الهندسة والفلك والظواهر الجوية وعلوم القوى المحركة والرياضيات وفن الصوت في البناء جهاز ليوناردو أنموذجا لتمثال « فرانشسكو سفورزا » على صهوة جواده الضخم الذي أمته في عدة سنوات من العمل المتواصل وبلغ ارتفاعه ما يقرب من الثمانية أمتار وعرض بميلانو سنة ١٤٩٣ . لم يقدر لهذا التمثال الضخم والعمل الفني الرائع أن يصب في قالب من البرونز كما كان مقدرآ له من قبل إذ أغار الفرنسيون على ميلانو في سنة ١٤٩٩ ودمروا التمثال . (فرانشسكو سفورزا) ١٤٠١ - ١٤٦٦ (أحد أبطال عائلة سفورزا وهي عائلة وصلت إلى أن تتولى دوقية ميلانو من سنة ١٤٥٤ حتى سنة ١٥٣٥ - وهو أول دوق لميلانو من سنة ١٤٥٠ حتى سنة ١٤٦٦) .

كان إنتاج ليوناردو خلال تلك السنوات إنتاجا خالدا ورائعا فقد رسم « العذراء » سنة ١٤٩٣ وبدأ قمة إنتاجه الفني « العشاء الأخير » على حائط في دير « سانتا ماريا ديلا جراتسيا » ولكنه للأسف لم يعمر طويلا على الحائط وفشلت كافة المحاولات للمحافظة عليه محافظة تامة بعد أن قام الفنان الإيطالي الكبير « كافيناجي » بترميمه قدر الإمكان (لويجي كافيناجي ١٨٤٤ - ١٩١٨ اشتهر بمقدرته على إصلاح الرسوم الزيتية القديمة وكان مديرا فنيا لمتاحف الفاتيكان) ورغمما عما أصابه فلا يزال يعتبر « العشاء الأخير » Cenacolo لليوناردو دافنشي من أجمل وأعظم الرسوم الزيتية في العالم، وقد أطلق عليه « أروع عمل فني في أوج عصر النهضة » ، كما أطلق عليه « أكمل أداء فني في تاريخ الرسوم الزيتية في كافة العصور » . حدث عندما دخل لويس الثاني عشر ميلانو بجيشه منتصرا على الدوق لوديفيكو سفورزا وطلب أن يرى هذا العمل الرائع وقف مبهورا أمام الحائط الذي رسم عليه وسأل مرافقيه عما إذا كان ممكنا نزع الحائط بأكمله لكي يحمله معه إلى فرنسا .

من أعمال ليوناردو الزيتية الخالدة والتي لا تقدر الآن بثمان اللوحات

: التالية :

Vergine col Bambino e Sant' Anna

العذراء مع يسوع المسيح والقديسه أنا

Vergine delle Rocce

العذراء

San Giovanni Battista

القديس يوحنا

Il Battesimo de Gesu

(تعميد يسوع المسيح)

وهذه كلها موجودة بمتحف اللوفر بباريس

Adorazione dei Magi

سجود العرافين

وهي موجودة بـ « جاليريا أوفيسي » بفلورانس

San Girolamo

الراهب جيرولامو سافونا رولا

Annunciazione

(البشارة)

وهي موجودتان بمتحف الفاتيكان

في مارس سنة ١٥٠٠ انتقل ليوناردو إلى مدينة البندقية ليخطط لشئون الدفاع عنها بتكليف من دوق فينيسيا ، وهنال انكب على دراسة الرياضيات والعلوم الكونية ولكنه غادرها في العام التالي عائدا إلى فلورانس حيث عاد إلى دراسة الجغرافية والرياضة والتشريح والفلك وأخذ يكتب عن المد والجزر وتحويل مجرى نهر الـ « أرنو » ، وغيرها .

في سنة ١٥٠٢ اشتغل ليوناردو مع « فالنتينو بورجيا » بلقب كبير مهندسين وطاف معه إيطاليا الوسطى ورسم ست خرائط جغرافية رائعة للمناطق التي مسحها وهي موجودة في الوقت الحاضر بالمكتبة الملكية في قصر وندسور ببريطانيا ويصفونها بأنها روعة الفن العلمي في رسم الخرائط .

خلال تلك الفترة كان ليوناردو يشتغل في إنتاجه الخالد الرائع « مونا ليزا » التي انتهى منها سنة ١٥٠٦ وهي موجودة في الوقت الحاضر بمتحف اللوفر ، وتكمن روعة هذه الصورة الزيتية في وجه السيدة التي تتسم ابتسامة غريبة ذات دهاء .

(الصورة هي رسم لـ Lisa Gherardini من نابولي زوجة فرانشسكو زانوبي دل جوكونديو « Mona Lisa del Giocondo » ويطلق عليها الآن « مونا ليزا » .

في سنة ١٥١٣ انتقل ليوناردو إلى روما في خدمة أمراء عائلة « ميديتشي » ولكن لم ترقه الحياة فيها فسافر في سنة ١٥١٦ إلى مدينة بولونيا في شمال إيطاليا وأخيرا قبل عرضا لفرانسوا الأول ملك فرنسا وهاجر إلى فرنسا حيث أقام بقلعة « كلو » على نهر اللوار إلى أن أدركه الموت في شهر مايو سنة ١٥١٩ بالغا من العمر سبعة وستين عاما .

كان ليوناردو دا فنشي طوال حياته متعطشا إلى المزيد من المعرفة في كل فرع من فروع العلوم بشكل لم تعرفه البشرية حتى يومنا هذا ، ولم يسبقه إليه بشر . كان ليوناردو - بجانب ما ذكر عن نواحي عبقريته في الرسم والنحت والموسيقى والشعر والغناء - دارسا لتشريح جسم الإنسان والحيوان ، كان أول من تنبه إلى علم الفسيولوجيا وعلم النبات ، كان معماريا وميكانيكيا ومهندسا عسكريا ومدنيا . فكر ليوناردو دا فنشي في كثير من العلوم التي فكر فيها من بعدة الفلكي « جاليليو جاليلاي » و « نيوتن » و « بيكون » وغيرهم .

كان ليوناردو دا فنشي عبقريا لم تعرف البشرية له مثيلا حتى يومنا هذا . والأمر الذي شهد به العلماء هو أنه لو أن ما كتبه ليوناردو في مختلف العلوم والفنون قد نشر بعد وفاته لوفر ذلك على العلماء الذين جاءوا من بعده أجيالا طويلة من البحث ولكن ما دونه ليوناردو قد أهمل حتى القرن التاسع عشر عندما تبين للباحثين والعلماء بأن ليوناردو كان قد سبقهم إلى اكتشافات مختلفة في ميادين كثيرة .

لقد تبين أخيرا بأن ليوناردو دا فنشي كان قد وضع تصميما لطائرة لو أتيح لها في زمانه محركا بالبترول لطارت ، وترك رسوم تصميما للهيلوكبتر والباراشوت وجهاز الغطس تحت الماء ، كما أنه فكر في استعمال

ضغط البخار ووضع تصميمها لمدفع يطلق بالبخار وبدالات للمراكب
ورسومات المدافع تعمر من قاعدة فوهاتهما .

إن بعض الماكينات التي قام ليوناردو بتصميمها وبنائها مثل منشار
قطع الرخام لا يزال يستعمل حتى يومنا هذا في محاجر الرخام بمدينة كارارا
— موطن الرخام الإيطالي — بايطاليا ، وكان أول من فكر في علم الهيدروليكا ،
وهو الذي اكتشف الغرفة السوداء في التصوير (chambre Obscure)
وكان مقتنعا بالتكوين الذري للماء ، وكان أول الدارسين لتكوين الزهور
وأوراق الأشجار .

كانت لليوناردو دافنشي نظريات ثابتة واكتشافات علمية اعترف له بها .
كان ليوناردو رجلا وسيما ، جميل الصورة ، قوى البنية ، رياضيا ،
رقيق الجانب ، ظريفا ، محبوبا من الجميع ، عرف بكرمه ووفائه وصفاء
صداقته .

ليوناردو دافنشي هو صاحب أروع وأكمل أداء فني في تاريخ الرسوم
الزيتية في كافة العصور وأحد أربعة من الموهوبين الذين يمثلون العبقرية
الحلاقة للجنس الإيطالي في عصر النهضة في أبداع صورها .

لم يكن كثيرا اذن أن يقال على ليوناردو دافنشي بأنه المثل الكامل
للعقل المتحضر في الجسم السليم الكامل ، فلا غرو أيضا إن أطلق عليه حتى
يومنا هذا الرجل الكامل .

* * *